



خاص

المالك

فقط

تأليف

سلمان بن يحيى المالكي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده...

أيها الصائمون القائمون.. أيتها الصائمات القانتات..

مما لا شك فيه أن القلب يقسو ويصدأ، والنفس تضعف وتهبط بها دواعي الشهوات، وهواتف الدنيا، وصدق مالك ابن دينار يوم قال: (ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب) [الزهد للإمام أحمد ٢ / ٣٠٠]، ومن رحمة الله تعالى ومنه على عباده أن شرع لهم من العبادات، وهياً لهم من فرص الطاعات ما تزكو به نفوسهم، وتصفو به قلوبهم، وتسمو به أرواحهم، ليهتدوا بنوره، ويأنسوا بطاعته، ويتلذذوا بذكره، ليرتقوا بعد ذلك في أعلى الدرجات، وأجل المقامات، في جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتياً... شهر رمضان موسم من أجل مواسم الخيرات، التي امتن الله بها على عباده، ليقوى إيمانهم، وتزداد فيه تقواهم، وتعمق صلتهم بربهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] يقول الرازي - رحمه الله تعالى - : (إن الصوم يورث التقوى لما فيه من انكسار الشهوة، وانقماص الهوى) [مفاتيح الغيب ٥ / ٧٠] فرمضان موسم القبول والغفران، والنفحات والعتق من النيران، فصيامه جنة، وهو موصل إلى الجنة، ولقد كان السلف الصالح يجتهدون فيه بإتقان العمل وإتمامه، ويخافون رده وعدم قبوله، والعاقل اللبيب يأخذ في هذه الدنيا من صحته لسقمه، ومن فقره لغناه، ومن فراغه لشغله، ومن حياته لموته، فيسعى جاهداً ما أمكن في اكتساب الخيرات، والاجتهاد في الأعمال الصالحة، وكل ميسر لما خلق له.

أخي الصائم.. أختي الصائمة...

إن من أجل الطاعات، وانفع القربات، لرب البريات، في شهر البركات: الاعتكاف.. نعم.. تلك السنة التي يخلو فيها العبد مع خالقه، مع رازقه، مع سيده ومولاه، فينطح على عتبات بابه ليناجيه، فيتضرع له، ويأنس به، وينقاد إليه، ويخضع بين يديه، الاعتكاف تلك السنة التي تزكو فيها النفس، وتسمو فيها الروح، ويصفو فيها القلب إلى علام الغيوب، الاعتكاف... تلك السنة التي يتصل فيها العبد بخالقه، فينشغل بعبادته، وينقطع عن خلقه، لتنتلق النفس بعد ذلك وترفرق للواحد الديان، رب الأرض والسماء إنها تلك السنة التي حافظ عليها خير من وطىء الثرى، سيد ولد عدنان، محمد ﷺ، نعم.. حافظ عليها أشد المحافظة رغم انشغاله بالتربية والتعليم، والدعوة والجهاد، وحرص أمته عليها تاركاً لمن بعده ممن يقتفون أثره، وينهجون نهجه، ويستنون بسنته درساً بليغاً عظيماً في أهمية الانقطاع إلى الله تعالى، والتحرر من العوائق والشواغل والحرف والأعمال الدنيوية والشهوات والملهيات والنظر إلى زهرة الدنيا وزخرفها، لكن الناظر بحق في هذا الزمن بعين البصر والبصيرة يرى بجلاء وصدق ضعف همة بعض الصالحين في هذا الجانب (جانب الإعتكاف) فما أن تلوح العشر الأواخر في الأفق، وتبرز أهم أعمالها وهو الاعتكاف، حتى تسمع تلك التبريرات من بعض المحسنين - غفر الله لنا ولهم - فهذا يعتذر بضيق الوقت، وذاك بكثرة المشاغل، وثالث بتعب الجسد ونصبه، وما علموا حقيقة أن صاحب اللواء المعقود، والمقام المحمود - صلوات ربي وسلامه عليه - كان أحرص الناس تعظيماً لهذه السنة، فقد كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، واعتكف أزواجه من بعده [البخاري،

ح ١٩٢٢] وكان يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً [البخاري ٢٠٤٤] يقول **الإمام الزهري** - رحمه الله تعالى -: (عجباً من الناس كيف تركوا الاعتكاف ورسول الله ﷺ كان يفعل الشيء ويتركه، وما ترك الاعتكاف حتى قبض) [الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي ص ٦٩٤] فما أحوجنا معاشر الصائمين والدعاة والمصلحين إلى إحياء هذه السنة، وإقامتها والتواصي بها، وملازمتها على الوجه الصحيح الذي كان عليه رسول هذه الأمة ﷺ وأصحابه من بعده - رضوان الله تعالى عليهم -.

مقصود الاعتكاف

الاعتكاف عبادة ليست كغيرها من العبادات، فهي تعني الانقطاع إلى الله تعالى، وهجر ملذات الدنيا وشهواتها، كيف لا؟ وهي من أجل العبادات التي تحقق للعبد صلة بربه - عز وجل -، وإذا كان فضول الطعام والشراب والكلام والمنام ومخالطة البشر مما يزيد القلب شعشأة، ويشتته في كل واد، ويقطعه عن سيره إلى ربه تعالى، فإن الاعتكاف مما يعين على صلاح القلب واستقامته، ولم شمله، يقول **ابن القيم** - رحمه الله تعالى -: (والاعتكاف مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى وجمعيته عليه، والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده - سبحانه -، بحيث يصير ذكره وحبه، والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولي عليها بدلها ويصير الهم كله به، والخطرات كلها بذكره، والتفكر في تحصيل مرضيه، وما يقرب منه، فيصير أنسه بالله بدلاً عن أنسه بالخلق، فيُعدُّ بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور حين لا أنيس له، ولا ما يفرح به سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم) [ص ٨٦ - ٨٧].

لماذا الاعتكاف..؟

الاعتكاف الحقيقي ليس الاعتكاف الذي يجعل المساجد مهاجع للنائمين، ولا ميدانا للمتزاورين، ولا مسرحاً للبطالين، ولا موائد للأكل والشرب وحلقات للضحك وفضولاً للكلام، الاعتكاف المطلوب ليس الاعتكاف الذي إذا خرج المعتكف من معتكفه وقد ازدادت القسوة في قلبه، وجفت الدمعة في عينه، وعلته الحيرة والهم والغم، والاعتكاف الذي أرشدنا إليه النبي ﷺ ليس ذاك الاعتكاف الذي يجعله صاحبه وسيلة لزيارة الأحاب، وكثرة الأصحاب، ومؤانسة الخلان، وتقوية العلاقات الاجتماعية وتبادل الآراء الطيبة، لا.. وألف لا، إنَّ الاعتكاف كلُّ الاعتكاف هو الذي تسيل فيه دموع الخاشعين، وترفع فيه أكفُّ الضارعين، وترجي فيه الرحمات للمعتكفين، الاعتكاف المحمود هو الذي ينقل المسلم إلى مشابهة حياة سلف هذه الأمة الأطهار، وأئمتها الأعلام، الاعتكاف الحقيقي هو الاعتكاف الذي يسعى فيه المسلم جاهداً أن لا تضيع فيه دقائقه وثوانيه لحظة واحدة، نعم.. إن الاعتكاف هو الذي يحقق مفهوم التربية الذاتية لمشابهة المحسنين المطيعين الخائفين الوجلين، حقاً.. الاعتكاف هو الذي يحقق العبدُ من خلاله الإخلاصَ المحضَ لله - تعالى - في حركاته وسكناته، والمتابعةَ لنبه ﷺ قولاً وعملاً.

هدى النبي ﷺ في الاعتكاف...!

لقد كان نبي هذه الأمة ﷺ أكمل الناس هدياً، وأيسرهم أمراً وأفضلهم عبادة، كيف لا؟ وهو أخشى الناس لله، وأتقاهم له - صلوات ربي وسلامه عليه -، فمن هديه ﷺ إذا أراد أن يعتكف أن لا يخرج من معتكفه إلا لحاجة، فهو دائم المكث فيه، تقول عائشة - رضي الله عنها - «وكان لا يدخل

البيت إلا لحاجة» [البخاري، ح ١٩٢٦] وكان يؤتى إليه بطعامه وشرابه إلى معتكفه، وكان شديد الحرص على نظافة جسمه الشريف - عليه الصلاة والسلام -، فكان يُخرج رأسه إلى حجرة عائشة لترجله وهي حائض [البخاري، ح ٢٩١] يقول ابن حجر حول هذا الحديث: (وفي الحديث جواز التنظيف والتطيب والغسل والحلق والتزوين إلخ بالترجل) [الفتح ص ٧٠٧] وكان من هديه - عليه الصلاة والسلام - «أن لا يعود المريض ولا يشهد الجنازة»، تقول عائشة - رضي الله عنها - «يمر بالمريض وهو معتكف، فيمر كما هو، ولا يعرج يسأل عنه» [أبو داود، ح ٢٤٧٢] وخلاصة القول: فقد كان اعتكافه ﷺ يتسم باليسر لا المشقة، كثير الإقبال على ربه، جلُّ مكثه في المسجد، يترقب ليلة القدر، بأبي هو وأمي وما أملك - عليه الصلاة والسلام -.

الاعتكاف وأهم مراميه

الاعتكاف هو تلك السنة الماجدة، والشعيرة الراشدة، التي نأى عنها كثير من الخلق وابتعدوا، وجفوها فما رشدوا، الاعتكاف هو تلك المدرسة التربوية الإيمانية المستقلة المتكاملة التي تعمل على إيقاظ كثير من الجوانب الحياتية في العبد المسلم، الاعتكاف هو تلك السنة الخالدة في هذه الأمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فأليك طرفاً من أهم مقاصده ومراميه العظيمة:

أولاً: تحقيق العبودية لله تعالى:

فما أجمل أن يحقق المعتكف عبوديته لله، فيهيئ نفسه وروحه ووقته وكل ما يملك لربه - جل وعلا -، فيعتكف بصدق وإخلاص مبتغياً الأجر والثوبة، فيكون شغله وهمه مرضاة ربه، في الصلاة، وفي التلاوة والتدبر تارة، وتارة في الذكر والدعاء والتسبح والمناجاة، واضعاً نصب عينيه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي

وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ
وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴿ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

ثانياً: تحري ليلة القدر:

وتأتي أهمية هذه الليلة المباركة في اجتهاده ﷺ في تحريها في رمضان، فلقد كان هدفه الأسمى في الاعتكاف: تحري ليلة القدر فاعتكف العشر الأول يلتمسها، ثم اعتكف العشر الأوسط ثم أتى فقليل له: إنها في العشر الأواخر ولقد كان سبيله إلى ضمان هذه الليلة المباركة هو الاعتكاف، فكان يعتكف العشر الأواخر حتى توفاه الله وقبضه إليه.

ثالثاً: المكث في المسجد:

ولو لم يكن للمعتكف إلا أجر البقاء في المسجد لكفى، كيف لا، وفيه تعويد وتربية وتجبب للنفوس وتعظيم لشأن هذا المكان الطاهر، فهو مهد الانطلاقة الكبرى لهذا الدين، التي شهدتها تاريخ الإنسانية بل لم تعرف الحضارات موقعاً أثر في مسار البشرية كمسجد النبي ﷺ، فهنيئاً لك أخي المعتكف فإن الملائكة لتصلي عليك وتستغفر لك ما دمت في مصلاك.

رابعاً: التقليل من الترف والبذخ والابتعاد عنه:

ويكفي المعتكف تربيةً أن يرضى بالكفاف كما رضي به نبيه وحبيبه ﷺ من قبله، فهو وربي إمام الزاهدين وقدوة الموحدين فلقد كان يمر عليه الهلال، والهلالان والثلاثة وما يوقد في بيته نار وما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعاً حتى قبض، فينبغي للمعتكف أن يستشعر أهمية الانقطاع إلى الله تعالى وأن يرضى باليسير ليصبح وكأنه غريب في هذه الحياة.

خامساً: كف الجوارح عما حرم الله تعالى:

وجماع هذا الأمر قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» [رواه البخاري ومسلم] فإن جماع

المعاصي منشؤها من تقديم هوى النفس على محبة ما جاء به الله وما جاء به رسوله ﷺ، ومن أهم ما ينبغي للمعتكف أن يتحفظ منه: لسانه الذي بين فكيه: **«فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»** [البخاري، ح ١٠] والمعتكف إذا أطلق عذبة لسانه وأهمله سلك به كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار، فاشغل أخى المعتكف وقتك فيما ينفعك وتنزه عما لا يعينك من الأقوال والأفعال، واجتنب الجدال والمراء والسباب، وصدق **الحسن البصري** يوم قال: (من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه) [جامع العلوم والحكم، ص ١٢٤].

سادساً: تزكية النفس:

فالنفس بطبيعتها كثيرة التقلب والتلون، تؤثر فيها المؤثرات، وتعصف بها الأهواء والأدواء، تسير بصاحبها إلى الشر، فإن لم تستوقف عند حدها، وتلجم بلجام التقوى، وتؤطر على الحق أطراً وإلا فإنها داعية لكل شر وهوى ومعصية، والاعتكاف من أهم ما يعين المسلم على تزكية نفسه وتطهيرها من شوائب الذنوب والمعاصي، والله يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)﴾ [الشمس: ٩-١٠].

والمقاصد كثيرة ومنها على سبيل الإجمال:

سابعاً: إصلاح القلب ولم شعته بالإقبال على ربه، وحسن الاتصال به.

ثامناً: إنه مرتع خصب للدعاة والمربين من جهة سداد النقص الذي اعتراهم لانشغالهم بالخلق وزيادة صلتهم بالخالق.

تاسعاً: زيادة الصلة الإيمانية بالله، والجوانب العبادية التي تزكي النفس، وتجعل المرء أكثر قدرة على مواجهة فتن الدنيا والعمل على استنقاذ الآخرين منها.

أمور ينبغي مراعاتها

أخي المعتكف الكريم:

هناك بلا شك أمور وجوانب يحسن بك مخالفتها بينما جرى أكثر الناس عليها ومن تلك الأمور على عجل:

أولاً: فضول الكلام:

فينبغي للمعتكف أن يعدَّ كلامه وأن يتفحص معانيه، ورحم الله الفاروق عمر بن الخطاب يوم قال: (من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثر ذنوبه، ومن كثر ذنوبه كانت النار أولى به) [جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ١٦٧].
والتأمل في حال كثير من المعتكفين يلاحظ فقدان السمات، ونقص الحكمة في الكلام، وخلط الجهد بالهزل، فضلاً عن الوقوع في بعض المحرمات كالغيبة والنميمة ونحوها إلا ما رحم ربي، فينبغي للمعتكف تعويد نفسه عن كل ما يقطع عليه اعتكافه على عدم الاسترسال فيه إلا لحاجة، مع مراعاة الأدب وحسن القصد، وأن يتنبه المعتكف إلى أنه يكره الصمت عن الكلام إذا اعتقد أنه عبادة أو قرينة، لحديث الذي نذر أن يقوم في الشمس ويصوم ولا يتكلم، فأمره النبي ﷺ أن يستظل ويتكلم ويقعد ويتم صومه.

ثانياً: فضول الأكل:

فإن قلته مما توجب رقة القلب وانكسار النفس، وقوة الفهم وضعف الهوى والغضب، ويطلق المرء من قيود الكسل والدعة والخمول إلى النشاط والحيوية والحركة، وصدق من قال: المعدة بيت الداء، فإنها إذا امتلأت نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة، ورحم الله عمر بن الخطاب يوم قال: (من كثر أكله لم يجد لذكر الله لذة) [الحلم لابن أبي الدنيا ص ٧٨] ويكفي في كثرته أن يُثقل البدن، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف

صاحبه عن العبادة، فإذا أردت أخي المعتكف أن تغزر دموعك، وأن يرق قلبك وأن تتلذذ بذكر ربك فاعدل في القسمة فثلث لطعامك وثلث لشرابك وثلث لنفسك.

ثالثاً: فضول المخالطة:

ويكفي في الخلطة أثراً: أنها تقصر همة المعتكف خاصة إذا كان جلساؤه دنيئى همة وضعيفى عزيمه، حتى يصبح قاصر الهمة واقفاً عند التشبه بهم فقط، كما أنها مظنة الوقوع في المزاح والكثرة منه مما يؤول إلى التقليل من أهمية المكان والزمان، ومنها أيضاً أن الخلطة داعية إلى فضول الكلام والأكل والنظر وإضاعة الوقت في النوم وغير ذلك من مناقضات جوهر الاعتكاف.

وأخيراً...

فإنه ينبغي للمعتكف أن يستشعر أهمية تعظيم حرمان الله تعالى مكاناً وزماناً، وأن يحذر كل الحذر من طلب الكمالات المحضة التي تسبب انتكاسة في الهمة وتثبيطاً للعمل، فعلى المعتكف أن يسعى جاهداً وأن يتطلع إلى الهمة العالية والنفس الأبية ليتمكن من استغلال ليالى اعتكافه لتنقله إلى الإيجابية المطلوبة.

رزقني الله وإياك الإخلاص في النية، والصدق في القول والعمل..

وإلى الملتقى بك في موسم قادم من مواسم الخير والبركات، أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

دار القاسم تقدم برنامج القراءة بالمراسلة: يصلك شهرياً ٤ كتيبات +
٤ كتيبات جيب + ٤ مطويات بإشتراك سنوي ١٧٥ ريال فقط

حقوق الطبع والنشر محفوظة